في مشروع الانثربولوجيا الفلسفية بول ريكور قارئا لمارتن هيدجر

ابراهيم كراش
جامعة قاصدي مرباح ورقلة(الجزائر)

الملخص:

يهدف هذا الى المقال الوقوف على قراءة بول ريكور لانثربولوجيا الدزاين عند مارتن هيدجر، وكيفية استنفاذه لهـا فـي مشروع الانثربولوجيا الفلسفية، من خلال توضيح مفهوم الزمانية في منحاه الانطولوجي وعلاقته بالوجود الانساني، وفي علاقته بمشروع ريكور الانثربولوجي خاصة فيما يتعلق بمفهومي الخيال والامكان. وفي اشتغاله على السؤال الانطولوجي مـن ناحيـة السرد والتاريخ ، هذا السؤال لا يمكن فهمه ومقاربته ، إلا بالعودة إلى مشروع الانثربولوجيا الفلسفية الذي أسسه ريكـور علـى قراءات متعددة ومختلفة ولعلى أبرزها قراءاته لهيدجر ؛ أين أسس لحوار مستمر مع الفلسفة الوجودية .

كلمات مفتاحية: انثربولوجيا الدزاين- الانثربولوجيا الفلسفية- الزمانية- الخيال والامكان- السؤال الانطولوجي-

Resume:

l'article vise a tenir à la lecture Paul Ricoeur à l'anthropologie de Dasein quand Martin Heidegger, et comment épuisant dans son projet d'anthropologie philosophique, en clarifiant la notion temporelle en sa tendance ontologique et sa relation à l'existence humanitaire, et dans sa relation avec le projet de Ricoeur du l'anthropologie en particulier en ce qui concerne les notions de l'imagination et potentiel. Dans fonctionne sur la question ontologique du récit et de l'histoire. cette question ne peut être compris et a approché, pour revenir au projet de l'anthropologie philosophique, fondée par Ricoeur sur des lectures multiples et différentes, et notamment sur sa lecture de Heidegger.

Mots-clés :l'anthropologie de Dasein quand- anthropologie philosophique- temporelle- l'imagination et potentiel- la question ontologique.

Abstract:

This is to keep the article on reading Paul Ricoeur when Dasein anthropology of Martin Heidegger, and how exhausting in its philosophical anthropology project, clarifying the temporal notion in its ontological trend and its relation to humanitarian existence, and in his relationship with the draft Ricoeur of anthropology in particular as regards the concepts of imagination and potential. In works on the ontological question of narrative and history. this question can not be understood and approached to return to the project of philosophical anthropology, founded by Ricoeur on multiple and different readings, especially on his reading of Heidegger.

Key words: Dasein anthropology- philosophical anthropology- temporal- imagination and potential- ontological question.

المقدمة

يؤصل ريكور الهيرمينوطيقا داخل الفينومينولوجيا، وهذا التأصل ليس بدافع من علاقة القرابة بينهما أي بين فهم النصوص وقصدية الوعي، بل بدافع من مفهوم العالم المعيش عند هيدجر، فبمأننا نعيش في عالم ونوجد فيه؛ فهذا يعني أننا نستطيع أن نتعارض مع ما يمكن أن نكونه ونتحكم فيه عقليا. وهذا التأصيل الريكوري للهيرمينوطيقا يجعل موقـف ريكور امتدادا طبيعيا لموقف هيدجر. وقد كان لكتاب الكينونة والزمان تأثير على مشروع الأنثربولوجيا الفلسـفية عنـد ريكور حيث عمل ريكور على استنفاذ الانطولوجيا الهيدجيرية ونلمس هذا في انطولوجيا الوجود الإنساني ودورها فـي بناء انثربولوجيا ريكور، فمن جهة التأسيس يمكن القول أن الانثربولوجيا الفلسفية عند بول ريكور متجذرة في الفلسـفة الوجودية بصفة عامة ، وفلسفة هيدجر بصفة خاصة. لكن ما يعدّ إشكاليا هو التالي:كيف استنفذ بـول ريكـور فلسـفة هيدجر في مشروعه الانثربولوجيا الفلسفية؟والى أي مدى ظل وفيا لمكاسب الفلسفة الوجودية ممثلة بمارتن هيدجر؟

1 هيدجر الزمانية وانثربولوجيا الدزاين: يمثل موضوع الزمن بؤرة التفكير في فلسفة هيدجر، ويظهر ذلك في قراءة هديجر لمسألة الكينونة عند كانط وما تم تناوله في الأنثربولوجية الكانطية من خلال كتاب كانط ومشكلة الميتافيزيقا 1925 وهي فترة تأويل هيدجر لفلسفة كانط في إطار تحليلية الدزاين إذ يفسر نقد العقل الخالص تفسيرا فينومينولوجيا ؛على اعتبار أنه تأسيس للميتافيزيقا بوصفها انطولوجيا . هيدجر يعمل في كتاب كانط ومشكلة الميتافيزيقا على تفسير كتاب كانط نقد العقل الخالص على أنه تأسيس للميتافيزيقا الخالصة لأنها هي الغاية الأخيرة ،ولأنها تسعى إلى إنشاء معرفة متعلقة بالكينونة فضلا عن كونه يعطي أهمية خاصة لتحليل كانط للمخيلة المتعالية ولنظرية التخطيطية ، و في كتاب تأويل فينونيولوجي لنقد العقل الخالص -الذي هو عبارة عن إعادة تأسيس الميتافيزيقا كعلم -يتساءل هيدجر هل أن نقد العقل المحض هو محاولة لبناء انثربولوجيا فلسفية ؟[1] قبل أن يجيب هيدجر عن السؤال يوضح فكرة الإنثربولوجيا عند كانط من خلال أسئلته الثلاثة المشهورة مادا يمكن أن أعرف؟ مادا يمكن أن افعل؟ في ماذا يمكن أن أمل؟ التي يختزلها فيما بعد إلى سؤال واحد هو: ماهو الإنسان ؟

هيدجر يرى أن هذا السؤال لا يجعل من نقد العقل الخالص انثربولوجيا فلسفية و يؤكد ذلك من خلال البرهنة على أن سؤال الفلسفة الأول ما هو الكائن ؟ يتحول إلى سؤال ما هو الكون ؟ الذي يتجلى بعلاقته مع تناهي الإنسان ؛حيث يحد من قدرته على معرفة الكون، فتفهم الكون هو الأكثر تناهيا في المتناهي أي في الإنسان، وعلى أساس تفهم الكون تظهر العلاقة بين أشكال التأسيس والتناهي الإنساني وهذا يؤكد لهيدجر أن السؤال الكانطي ليس إنثربولوجية فلسفية بل هو سؤال وجودي. هيدجر يريد أن يرتقي بسؤاله عن الإنسان على الطرح الأنطولوجي الكانطي فهو يستبدل سؤال الماهية (ما هو الإنسان؟) بسؤال أكثر أصالة :ــ من هو الإنسان؟ بل أكثر من ذلك يتخلى هيدجر عن مصطلح إنسان لصالح مصطلح الدزاين (الموجود هنا) فسؤال الماهية (الإنسان) مرتبط بالميتافيزيقا وهذا ما جعل محاولة كانط في تأسيس انثربولوجيا فلسفية تبقى رهينة فرضية ميتافيزيقية تعتقد أن الإنسان محدد الماهية، رغم استحالة الوصول إلى حقيقة هذه الماهية، من هنا كانت انثربولوجيا الدزاين تجاوزا للطرح المتافيزيقي الذي ميز الأنثربولوجيا التقليدية، وهذا التجاوز ينطلق من مفاهيم انطولوجية، كالقلق، السقوط، الموت . وهو ما يجعل الانطولوجيا تحيل إلى الأنثربولوجيا الفلسفية ،الشيء الذي يتحقق حين نتخلى عن مفهوم الإنسان حيوان عاقل الذي تأسست عليه الأنثربولوجيا القديمة ، وفي هذه النقطة يتحدد تمييز الدزاين من جهة انه يملك من بين ما يملك إمكانية التساؤل، والانفتاح على العالم والكائنات ؛أي التخارج والتزمن. كما يتجلى الوجود الحقيقي للدزاين في مظاهر الخوف ،والقلق، والعدم. وهي مظاهر تتجاوز الوجود الزائف أي الإنسان الحيواني بالمفهوم الكلاسيكي. فالدزاين يعبر عن وجوده من خلال تجارب الوجود من أجل الموت، الضمير، التصميم و الزمانية. وعلى الزمانية تتأسس أنثربولوجيا الدزاين ؛فحقيقة الدزاين تتحدد بتزمنه ؛ ووجوده هو تزمنه، فالإنسان يبدأ من التزمن ،والتزمن يبدأ بالإنسان فكلاهما يتفتح عن الأخر فبالتزمن ينقذف الدزاين نحو المستقبل متجاوزا الماضي والحاضر، وهذا لا يعني أن الزمان إطارا تقع فيه أحداث الحياة؛ بل هو البنية الداخلية للذات؛ ما يعني أن الزمانية هي التي تعطي للدزاين المعنى الأنطولوجي من حيث أن الدزاين ملزم بالتساؤل عن كينونته.

تحيل فكر تزمن الدزاين عند هيدجر إلى فكرة التناهي في تحديد مفهوم الإنسان، والتناهي هو المدخل الأساسي لأنثربولوجيا الدزاين؛ فحياة الدزاين تمتد بين نهايتين: الميلاد والموت .وبينهما يحقق الدزاين تاريخيته؛ فالوجود الأصيل للدزاين يكشف عن الزمانية والتناهي، و زمانية الوجود الإنساني تعني تناهي هذا الوجود ،ولأنه كذلك فقد احتل موضوع الموت مكانة مركزية في فلسفة هيدجر. ومنه فهو يصف نمط الوجود الإنساني كله بأنه وجود يتجه نحو الموت . إذن يتضح أن هيدجر في قراءته لكانط من خلال كتاب كانط ومشكلة الميتافيزيقا ،يرى أن موضوع نقد العقل

[1] Heidegger (M), Kant et le problème de la métaphysique Ed. Gallimard, 1953 p 80

المحض لكانط هو تناهي الإنسان في الزمن[1]، وحسب هيدجر فإن كانط تراجع عن مشروعه في الطبعة الثانية لنقده سنة 1887 وكان هذا التراجع لصالح المنطق عوضا عن الخيال المتعالي.

وعلى خطى هيدجر يسير ريكور في مناقشة مشروع كانط بعد تحليليه لتخطيطية كانط في التركيب المتعالي ، حيث يرى أن هذا التركيب يعطي نقطة الانطلاق للأنثربولوجيا الفلسفية : <<فالمتعالي... يعطينا فقط المرحلة الأولى للأنثربولوجية الفلسفية ولكنه لا يمكنه أن يواصل حتى تأسيسها بشكل كامل. >>[2] معنى هذا أن تخطيطية كانط ضرورية ولكنها لا تكفي، فهي ضرورية كونها تنقل التفكير الفلسفي من الميتوس إلى اللوغوس، أي أن أسطورة الخليط لأفلاطون سوف تتحول مع كانط إلى تركيب متعالي. وهنا تتجلى نظرية كانط في الخيال المتعالي التي تطرح مشكلة الحد الثالث (الوسيط) ، المرتبط أساسا بمشكلة الحساسية ،ومن ثم فهو متلق، منفعل وسالب ، وفي نفس الوقت نشيط وفعال شأنه شأن الفاهمة <<من حيث أن مشكلة الحد الثالث توسيطية .>>[3]

إذن الحد الثالث هو نقطة البدء في توضيح الترسدنتال في الإنسان كوسيط، فوظيفة التوسط للخيال هي انفصام بين الحساسية والفاهمة بإيعاز من الفكر كونه منقسم بين تلقي وحضور الأشياء؛ أي تلقي الأشياء بدون تحديد معناها ما يعني الانخراط في وجود الأشياء ، وبين حضور الأشياء وتحديد معناها. وبهذا يتحدد وضع الإنسان كوسيط بين التلقي والحضور، وتحديد معاني الأشياء. ما يحيل من جهة إلى تناهي الإنسان كون التلقي محدود ومتناهي. ومن جهة أخرى يحيل إلى لا تناهي الإنسان بواسطة لا تناهي التحديد.هذه الوساطة الأصيلة في الإنسان بين ذاته المتناهية وبين عالم الأشياء اللامتناهي هي نقطة الانطلاق في تأسيس الانثربولوجيا الفلسفية، ومن هنا تظهر قوة ومتانة التحليل الكانطي حسب ريكور .هذا التحليل ضروري ولا يمكن تجاوزه في بناء خطاب انثربولوجي فلسفي حسب قوله<< إذا كان احد يريد تجاوز هده الخطوة من التفكير فانه يتوه في انطولوجيا وهمية تخلط بين الوجود والعدم، وإذا كان الإنسان خليط بين الوجود والعدم؛ فهذا يعني أنه يقوم بوسائط داخل الأشياء ما يدل على أن الوساطة هي بين الأشياء والعدم، وصادرة عن وظيفته كوسيط بين المتناهي واللامتناهي في الأشياء.>>[4] التحليل الكانطي ضروري لأنه تحوّل من خطاب الميتوس والى اللوغوس ؛أي أن أسطورة الخليط عند أفلاطون تتحول إلى خطاب فلسفي .هذا من جهة ومن جهة أخرى تحليل كانط لا يكفي لأنه لا يمكنه أن يستمر حتى يؤسس لخطاب انثربولوجي فلسفي، فهو يبقى مجرد انطولوجيا للوجود المتناهي <<في الحقيقة التركيب في الفلسفة المتعالية يفهم قصديا وصوريا؛ قصديا لأنه يستنفد في وحدة الموضوع (الشيء) ،صوريا لأنه يدخل في كل مضمون. في هذا المعنى الفلسفة المتعالية تسمح بالبدء ،لكنها لا تحمل معنى الانثربولوجيا الفلسفية الجديرة بهذا الاسم >>[5] .

وبالرجوع إلى هيدجر ،وتبعا لقراءته لعمل كانط النقدي، يذهب كانط إلى أن كلا من الحدس والفهم يرتد إلى جذر مشترك يُمكن من التبصر، كما يُمكن من القدرة على الربط وخلق النظام والتطابق والتركيب : انه الخيال. وبهذا تصبح المخيلة و باعتبار ماهيتها الزمانية، هي الموقع الذي ينفتح معه الأفق لفعل التمثل قصد توليد الموضوعات ،ولهذا يرى هيدجر أن الخيال وليس المنطق هو الذي يمهد لهذا الانفتاح من أجل جعله موضوعا أمام الذات ، ويكون التمهيد عن طريق الفكر وبفضل الوحدة الأساسية للحدس الخالص. تلك التي تتجلى في الزمان بوصفه صورة خالصة للحدس الحسي ،ومنه يستنتج هيدجر أن الأساس الكانطي للميتافيزيقا هو الانثربولوجيا. لأن كانط كان يبحث عن شروط إمكان التجربة التي تبدأ من صورتي الحدس الحسي: الزمان والمكان، واللتان تشكلان مع مقولات الفهم الشروط القبلية لإمكانية حصول التجربة، ومجموع هذه الأطر القبلية تكون أساسا للعمليات والملكات الذهنية -كالتخيل والفهم -

[1] Heidegger M, Ibid p 82
[2] P. Ricœur:Antropologie philosophique éditions du seuil paris 2013 p34
[3] Ibid. p29
[4] Ibid. p34
[5] Ibid p34

الموجودة في بنية الذهن البشري ؛أو ما يسميها كانط بالإدراك الواعي الترسدنتالي. وتجدر الإشارة هنا إلى أن كانط يمنح الزمان -الذي من خلاله يتجلى مفعوله المخيلة -قيمة متميزة ؛إذ يعتبره الشرط القبلي الضروري لإمكان وجود مختلف الحدوس داخلية كانت أو خارجية، والزمان بصفة خاصة هو أهم صورة فاعلة في تخطيطية كانط[1].

غير أنه مع إصدار الطبعة الثانية لنقده 1887 سيتراجع كانط عن محاولته التي رامت إلى تأسيس الذاتية على بعد الخيال ،وقد كان التراجع لصالح المنطق ، باعتباره مسألة هوية وبهذا التراجع سيصبح المنطق هو الأساس الذي تقوم عليه بنية الذات في تمثل جميع المعارف الممكنة. حسب هيدجر فإن كانط تراجع عن الزمانية بعد اكتشافها ولذلك سيركز هيدجر على موضوع الزمانية كما هو في الطبعة الأولى وخاصة في الدرس الذي يصبح الزمن شرط الإدراك، وفي نفس الوقت شرط وجود الموضوعات المدركة ؛أي الخيال الإبداعي وهو ما يسميه هيدجر بالخيال الانطولوجي الذي يحدد مسبقا المميزات التي ستوجد ونستطيع روئيتها في الأشياء التي تتجلى لنا.[2]في هذا السياق يذهب ريكور إلى أن دراسة الانطولوجيا تتم من خلال فهم وتأويل النصوص التي حولها هيدجر إلى انطولوجيا للفهم[3]، فيكشف عن سيرة الذات داخل النصوص وأمامها ،وطبيعة علاقتها مع الفهم ،والإدراك وثبات العقل. أي يتوجه الفهم إلى إدراك إمكانية الوجود<< بذلك سنكون أوفياء للفهم المعياري الذي هو جوهريا عزم ما أو بطريقة أكثر جدلية وأكثر تناقضا عزم ما فيه كينونة مقذوفة مسبقا.>>[4]

موقف ريكور منسجم كثيرا مع تأويلة هيدجر للزمانية الإنسانية ؛فانثربولوجيا الدزاين تلتقي مع نظرية ريكور السردية، يؤكد ذلك قول هيدجر <<إذا الفهم هو الكينونة الوجودانية لمستطاع-الكينونة- الخاص بالدزاين ذاته وذلك على نحو بحيث إن هذه الكينونة هي في ذاتها تفتح ما- له – وما –عليه يكون الكينونة مع ذاتها نفسها.>>[5] هنا يقدم هيدجر المفهوم الوجودي للفهم والذي يفيد أن الدزاين يفهم وضعا ما إدا امسك بالإمكانيات المتوفرة له، وأداة فهم وجود الإمكانيات هي المقذوفية والاستشراف. الفهم يعمل في ظاهرة الاستشراف، لكن بين المقذوفية والاستشراف علاقة وجودية، فالإستشراف هو أيضا مقذوف به؛ فبين استشراف أنفسنا على واجهة إمكانية من إمكانيات وجودنا، وبين أن نلقي بأنفسنا باتجاه هذه الإمكانية إلقاء هو نفسه أمر ملقى سلفا، نحن نفهم أنفسنا دوما ضمن إمكانية الفهم التي هي نفسها ملقى بها سلفا في أفق العالم الذي يشغلنا.[6]

والتأويل عند هيدجر <<يجد أساسه على نحو وجودي في صلب الفهم وهو ليس تعرفا على ما نفهم بل هو بلورة للإمكانيات التي يتم استشرافها في صلب الفهم>>[7]وهنا تظهر مساهمة هيدجر في صياغة المسألة التأويلية أين يكون التأمل نمطا وجوديا خاصا بالدزاين ويرتبط بالفهم من حيث هو استشراف للذات على الإمكانات المتاحة للدزاين في كل حين. ولأن الدزاين هو نوع من الوجود يتشكل بإستشراف نفسه أمام الإمكانات فإنه(الدزاين) دائما في تغير مستمر، أكثر مما يكون عليه، فالدزاين هو الإمكان وعدم الاكتمال الوجودي. هذا يعني أن الدزاين فاقد للماهية ،فهو يبحث عنها باستمرار في العالم الواقعي ويرتبط فهم الدزاين لذاته بالإمكانات المتاحة؛ ما يعني أسبقية الممكن عل الفعل وجوديا << في الفهم من حيث هو وجوداني ، ليس ماذا ما ، بل الكينونة من حيث هي فعل وجود، إذ ينطوي الفهم من ناحية وجودانية على نمط لكينونة الذزاين بوصفه مستطاع كينونة.>>[8]

---

[1] Heidegger M, Ibid 90
[2]Heidegger M, Ibid p94
[3]بول ريكور: من النص إلى الفعل،ترجمة محمد برادة،مكتبة الإسكندرية،ط1،2001 ،ص 70
[4] بول ريكور: صراع التأويلات،ترجمة منذرعياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،ط2005،1،ص 37
[5] مارتن هيدجر: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي ألمسكيني،دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،ط1،2012،ص 284
[6] هيدجر: الكينونة والزمان ص 284
[7] نفس المصدر ص 290
[8] نفس المصدر ص281

يواصل هيدجر في الجزء الثاني من الكينونة والزمان العمل بمفهوم الزمانية التي تحيل إلى المستقبل الذي يحدد الإمكانيات المتاحة للدزاين فيصبح بذالك الفهم مستقبليا وضمنه <<يتأسس فهم الكينونة المقوم لكينونة الدزاين، لان استشراف معنى الكينونة بعامة يمكن أن يتم في أفق الزمان.>>[1] فالمستقبل له معنى من حيث أنه طريق الدزاين في استشراف الإمكانات، والسير المستمر في اتجاه الموت، من هنا يتضح أن انثربولوجيا الدزاين محكومة بفكرة الزمانية التي ترتبط أساسا بفكر الإمكان. يشير ريكور في هذا الصدد الى أن هيدجر حقق ثلاثة اكتشافات هامة أولا: اكتشاف التفاف سؤال الزمان داخل البنية الأساسية للفهم، ثانيا: مفهوم وحدة أبعاد الزمان المستقبل والماضي والحاضر بوصفهما وحدة تخارجية. أخيرا: ضرورة تمييز ترتيبات متعددة لمستويات تزمن زمانية الدزاين.[2] ريكور في كتابه الزمان والسرد يعطي تطبيقا سرديا لنظرية هيدجر في فهم الزمان الانطولوجي، فنظريتة السردية تفهم الزمان بأنه تتابع للأفعال السردية ،وتنظيما لها على خلاف الفهم الهديجري الذي يتناول الزمان فلسفيا بمعزل عن السرد، فالزمان سيضل عصيا على الفهم من دون السرد. وإلى جانب اهتمام ريكور بتحليل الزمانية عند هيدجر تضفي نظريته السردية بعدا لغويا بمنهجية لغوية لم تكن موجودة عند هيدجر، فالتجربة الإنسانية المعاشة في الرواية أو في التاريخ هي تجربة زمنية، والزمن الإنساني هو زمن سردي. لهذا يقترح ريكور <<وضع الطريق الطويل الذي عالجته التحليلات اللغوية موضع الطريق الموجز المتعلق بتحليل الموجود هنا (الدزاين) >>[3]لأن انثربولوجيا الدزاين تحاول أن تصف بطريقة مباشرة بنية الدزاين، وهو ما لا تستطيع الانطولوجيا أن تستنفده ،هنا تتدخل التحليلات اللغوية كبديل يصل الى الانطولوجيا على مراحل من خلال وساطة النصوص والروايات ؛هذه الوساطة تمنح ألانطولوجيا الدقة التي تفتقر لها.

لا تواصل انثربولوجيا ريكور الفلسفية مشروع انثربولوجيا الدزاين فحسب ،بل إنها تصوب وتكمل بعض الموضوعات الأساسية فيها ؛فالبحث في مسألة السرد يفترض التفكير في طبيعة الإنسان، ويعطي تصويب ريكور السردي لزمانية الدزاين عند هايدجر بعد لغوي يزوده بالدقة وبعد اجتماعي. فإذا افترضنا بأن السرد ملازم للوجود الإنساني؛ فهذا يعني أن الإنسان كائن سارد ومنتج للعلامة والرمز، يرتبط الأمر هنا باللغة في علاقتها بالتجربة الإنسانية المعاشة التي تفهم بواسطة لغة يتأسس فيها الوجود الإنساني. ريكور يفتح المجال لتطبيقات فلسفة اللغة على تحليل هيدجر للزمانية، فإذا كان هيدجر يعالج مسألة الزمانية بالفينومينولوجيا، فإن ريكور يقارب المسألة بالنظرية السردية، فالسرد يبدع صور وأشكال الزمانية، وبهذا فنظرية ريكور السردية توفر للإنثربولوجية الفلسفية دقة في التحليل تفتقر إليها انثربولوجيا الدزاين.

تظهر متانة النظرية السردية في إضفاء بعد اجتماعي لإنثربولوجيا الدزاين ، أين يصوب ريكور منهج هيدجر في مقاربة مسألة التاريخية ؛ حين يعتبر أن تاريخية الدزاين فردية تتجه نحو الموت << فما هو تاريخي في المقام الأول هو الدزاين. >>[4]وفي هذا يميز هيدجر ثلاثة أنواع من التاريخانية (1)تاريخانية الذزاين، (2)تاريخية مكونات العالم الخارجي، (3)تاريخ العالم. والدزاين تاريخاني بوصفه مقذوف صاحب تراث ينتقل ذاتيا (داخليا)، ولكن ما ينتقل من تراث ليس مجموعة مكونات العالم الخارجي، إنما هو جملة الإمكانات الوجودية لأنفسنا؛ فنحن لا نرث إلا الممكن ،وهذا الانتقال لا يكون دون عزم وجودي <<إن العزم الذي ضمنه يرجع الدزاين إلى ذات نفسه ،إنما يفتح الإمكانيات الواقعية للوجود الأصيل في كل مرة ، وذلك انطلاقا من الإرث الذي يأخذه على عاتقه من جهة ما هو عزم مقذوف به وان الرجوع عن طريق العزم الى المقذوفية ينطوي في ذاته على نقل ذاتي للإمكانات المتناقلة. >>[5] في المقابل يرى

[1] نفس المصدر ص 428

[2] ريكور: والزمان والسرد (الزمان المروي)، ج3 .، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة / دار أويا بيروت/طرابلس،2006 ص95

[3] ريكور: صراع التأويلات ص42

[4] هيدجر الكينونة والزمان ص654

[5] نفس المصدر ص657-658

ريكور إن تراث الدزاين وتاريخه تراث اجتماعي يتم نقله بواسطة السرد والروايات والتواريخ. يحلل ريكور ثلاث سمات للتاريخية عند هيدجر

1) ظهور الزمن ممتدا بين الموت والميلاد
2) اتجاه الهم نحو المستقبل
3) الدزاين كالهم يتوسط الميلاد والموت.[1]

وعليه فالتاريخية عند ريكور هي استدعاء الزمانية للتفكير بالوجود الاجتماعي ؛فهو يعتقد أن قراءة انثربولوجيا الدزاين مع النظرية السردية هو دعم لها إذ <<لم تظهر لي ان إعادة قراءة... هيدجر من زاوية السرد بمثابة طعن في فلسفته ، وإنما كتقوية لموقفه في مواجهة الزمن الكوني... اجعل هكذا من السرد المعيار الذي يميز الزمن النفسي عن الزمن الكوني >>[2] بهذا يؤكد ريكور بأن الإنسان من خلال السرد يعيد بناء تجربته الزمانية كي يعيشها ويسيطر عليها. إن السرد بهذا المعنى هو تأسيس للإنطولوجيا يحمل معاني متعددة بأساليب أدبية وتاريخية. إن الوجود يكون أصيلا حينما يكشف عن التناهي المحتجب لتاريخية الإنسان أي على ذاك الذي يشكل موجوديته من أحداث ووقائع راهنة بين طرفي الميلاد و الموت[3]

2 **مشروع انثربولوجيا ريكور الخيال والزمان والإمكان:** يعد كتاب ريكور الزمان والسرد الجزء الثالث من أعماله المتأخرة التي تكشف عن نظريته السردية في الخيال والزمان ، إذ يؤكد في هذه النظرية دور السرد كوسيلة لفهم الوجود الإنساني ضمن الانثربولوجيا الفلسفية ؛فتحليليه للزمان والسرد والتاريخ عند أوغسطين وهوسرل وهيدجر تبرز وظيفة السرد في الانثربولوجيا الفلسفية، كون الإنسان كائن سارد. ونظريته السردية تحيل إلى النظرية التأويلية وهذا بتوجهها نحو اللغة والأدب ، إذ تستند تأويلية ريكور حول الهوية السردية على انطولوجيا هيدجر. فإذا كان وجود الدزاين وجود زماني، فإن هويته أيضا ستأخذ الطابع الزماني؛ أي سوف تكون هوية سردية ،وسوف يفهم الدزاين أيضا بأسلوب زماني ؛أي بأسلوب سردي.

يصر ريكور على أن الهوية سواء أكانت سردية ،أو حقيقة تتأسس على الوحدة والتماثل والدوام، سواء تحققت هذه الأشياء بين الناس، أو عبر حالات نفسية مختلفة. وفي هذا يركز ريكور على معيار الدوام في الزمن باعتباره من معايير الهوية[4] ؛ويشير إلى أن معرفة الذات هي في الأساس تأويل ، وأن تأويل الذات يجد في السرد وساطته التي تقوم على التاريخ بقدر ما تقوم على الخيال محولِة قصة الحياة إلى قصة خيالية ،أو إلى خيال تاريخي[5]. ريكور يتكلم عن الهوية باعتبارها هوية الفرد التي تكشف ملامحها السردية أو حضورها السردي .

في معالجته للعلاقة بين السرد والزمان ريكور مازال تحت تأثير هيدجر حين يقول في الجزء الأول من الزمن والسرد <<إن العالم الذي يكشفه كل عمل سردي هو عالم زماني. >>[6] فالعالم يظهر في صورة زمنية بفضل وضع البشرية في صورة زمنية ، وفي هذا تناغم واضح مع موقف هيدجر، والأكثر من ذلك تصريح ريكور<<بأن يصبح الزمان إنسانيا إلى الحد الذي يتم تنظيمه في شكل سرد ،و السرد من ناحية أخرى لا يصبح ذا معنى إلا إذا رسم ملامح

[1] بيرتشاني المرويات الكبرى ضمن كتاب الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي بيروت، ط1999،1 ص150
[2] بول ريكور من التحليل النفسي إلى المسألة الذاتية ،ضمن موقع http://membres.lycos.fr/minbar.
[3] حاتم الورفلي: بول ريكور الهوية السردية، دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع2009 ص117
[4] كيفن قانهوزر: أسلاف فلسفة ريكور، ضمن كتاب الوجود والزمان والسرد(مرجع مذكور سابقا) ص254
[5] نفس المرجع ص 251-252
[6] بول ريكور: الزمن والسرد (الحبكة والسرد التاريخي)، ج1 .، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة / دار أويا، بيروت / طرابلس، 2006 ص19

الخبرة الزمنية الإنسانية. >>[1] وفي هذه النقطة يبتعد ريكور عن هيدجر قليلا لأن هيدجر ينظر إلى الزمان على أنه المحدد الانطولوجي للوجود الإنساني، ويعتبره إنسانيا منذ البداية بمعزل عن السرد، أما ريكور فلا ينظر إلى الزمان على أنه مقولة انطولوجية مستقلة عندما يتصف بها الدزاين يصبح وجودا إنسانيا، فالزمان لا يصبح إنسانيا إلا إذا كان في إطار سردي ؛أي إلا إذا أصبح إطارا لقصة إنسانية، وهو ما يجعل الزمن إنسانيا بوصفه إطارا للسرد لا لكونه محددا لانطولوجيا الوجود الإنساني.

إن الزمان يصير زمنا إنسانيا مادام ينتظم وفقا لانتظام نمط السرد ،وان السرد بدوره يكون ذا معنى مادام يصور ملامح التجربة الزمنية ؛وهذا ما يتضح من خلال مفهوم الزمن <<فالزمن لا يمكن أن يكون إلا محكيا ،ولا وجود لزمن خارج التجربة الإنسانية التي تعبر عن نفسها من خلال فعل ورد فعل؛ أي يجب أن تكون منظمة في الممارسة الإنسانية لا خارجها، لذلك فالوجود الوحيد الممكن هو الوجود المشخص. أما التجريد فهو يشير إلى حالات افتراضية يتطلبها الإجراء المنهجي، لأنها لا تشكل حالة يقاس من خلالها الوجود الإنساني باعتباره بؤرة للتنويعات الثقافية.>>[2] فالزمن يتشكل في صفة حكاية، والذات بالنسة لريكور تعي نفسها بواسطة رمز وحكاية ؛أي تعي نفسها في شكل غير مباشر عبر رموز ونصوص تشكل وسيط لغوي. وبناءا عليه فهو يرى أن إعادة التشكيل التي يقوم بها السرد تثبت هذا الجانب من وعي الذاتية وإدراكها؛ وهذا يعني إن الذات لا تدرك نفسها إلا بطريقة تمكنها من الانعتاق من المطلق والعام لتتجه نحو الخاص والثقافي؛ أي اندماج الدلالات الثقافية بكل أشكالها وأنواعها التي يتم إبداعها بناءا على سيرورات رمزية توسطية تنتج باستمرار الفعل، أين يتضح الارتباط الوثيق بين الوظيفة السردية والتجربة الإنسانية، وعلى هذا الأساس يصبح الزمن إنسانيا في حدود انتظامه وفقا لنمط السرد.

فالسرد بهذا المعنى هو تصوير للحياة، وإبداع لمناطق داخلها، وهو شكل من أشكال وعينا بالزمن. وبتجاهلنا لهذا <<نعوق أنفسنا عن إدراك كيف يضاف التسفير التاريخي إلى الفهم السردي بحيث أن زيادة التفسير تجعل السرد أفضل.>>[3]الشيء الذي يجعل السرد يعبر عن مفهوم انطولوجي أوسع بما يتضمنه من فعالية تحكم كل ما يجري من أحداث في الزمن؛ بمعنى أن السرد ملازم كشرط ضروري للوجود بوصفه تجسيدا لأشكاله في العالم ،ما يحيل إلى فكرة أساسية وهي: ارتباط الوجود باللغة التي هي وسيط للفعل الإدراكي. فلا يمكن فهم الوجود الإنساني وإمكانات الفعل الإنساني إلا من خلال تحليل الرموز والنصوص التي تشهد عن هذا الوجود، فالإمكان يأخذ مشروعيته ومعقوليته عبر السرد وقصص الحياة، فمن خلال القصص والتواريخ نحصل على دليل الممكنات الإنسانية ؛فماهية الإنسان حسب ريكور تتحدد بقراءة القصص والتواريخ التي تبرز كامل نطاق الإمكانيات الإنسانية، لذا يصر ريكور على التأكيد أن الخيال لا يشير إلى الواقع فقط بل يقوله ويحدده، فالأعمال الخيالية لا تقل واقعية عن الإعمال التي نقوم بتمثيلها ومن رأي ريكور <<فإن الخطاب السردي لا يعكس الواقع فقط أو يدون تدوينا سلبيا فحسب عالما مصنوعا سلفا، بل ينشئ المادة المعطاة في الإدراك والتأمل ويطوعها ويخلق منها شيئا جديدا تماما مثلما يطوع الفاعلون الإنسانيون أفعالهم ويحولونها إلى صيغ متميزة من الحياة التاريخية خارج العالم الذي يرثونه بوصفه الماضي الذي عاشوه.>>[4]

نظرية ريكور السردية أدخل عليها نظريته التأويلية حين توجه بها اتجاها لغويا أدبيا، فهو لا يتابع الانطولوجيا بشكل مباشر، إنما عن طريق الرموز والدلالات فبما أن كل أشكال الفهم الوجودي لابد أن تفسر بلغة، فان كل الأبحاث التي تهدف إلى بلوغ الفهم التام للانطولوجيا لابد لها من دلالات، ومن هنا فالهيرمينوطيقا هي علم الدلالات ،؛وتجربة

[1] نفس المصدر ص20

[2] سعيد بن كراد <<حمات ريكور وعاشت التأويلية>>ملحق فكر وإبداع جريدة الاتحاد الاشتراكي 05/06/3ع7952

[3] بول ريكور من النص إلى الفعل ص10

[4] سعيد الغانمي: الفلسفة التاويلية عند بول ريكور،ضمن كتاب الوجود والزمان والسرد ص81

البحث عن المعنى توليدا أو تأويلا لا بد لها من وسائط وهي النصوص<< فلا وجود للمعنى إلا من خلال استثماره في وقائع ماديه قابلة للإدراك والمعاينة، قد يتعلق الأمر بالنصوص المكتوبة أو الشفهية، كما يتعلق الأمر بما ينتجه الإنسان من وقائع عبر جسده وطقوسه، كما قد يكون ذلك باديا من خلال الأشياء التي يمنحها الإنسان قيما دلالية تسجل امتداده فيما يوجد خارجه. إن الدلالات لا تهتم بالمادة الحاملة لها وهذا يعني أن التجربة الإنسانية كلية وتحتاج إلى تعبيرية بالغة الثراء والتنوع لكي تكشف عن نفسها >>[1]

و الإمساك بالدلالة يثري التجربة التأويلية ويمنحها أبعادها وأشكالها الثقافية، فهو يشخصها ويجسدها في نصوص مكتوبة أو منطوقة أو حادثة في شكل ثقافي ما،لأن الإنسانية تحتاج لتكشف عن ذاتها إلى وسائل تعبيرية ثرية ومتنوعة ؛وهذا ما يفهم من خلال تصور ريكور للسرد باعتباره وسيط يُمكن الذات من تحويل أحكام مجردة إلى كيانات مشخصة لأننا <<لا نفهم أنفسنا إلا بخفايا علامات البشرية المبثوثة في الآثار الثقافية. ماذا كنا سنعرف عن الحب والكراهية، عن الأحاسيس الأخلاقية ،وبعامة عن كل ما نسميه ذاتا، لو لم ينقل ذلك إلى كلام ولم يبين بالأدب ؟>>[2]

يعتقد ريكور أن السرد يعمل على إبراز إمكانات الوجود والفعل الإنساني في الزمن، أو توجيه الوجود نحو الإمكانات المتاحة له ، وهو يوافق هيدجر في القول بأسبقيتها ويختلف معه في أن الإمكانات لا يستشرفها إلا السرد ؛ فمن خلال القصص يتوفر لنا إثبات الممكنات الإنسانية، وكل ما هو إنساني إذا يرتبط بالزمن ويظهر بشكل أكثر معقولية من خلال السرد فسؤال أوغسطين ما الزمان الإنساني؟ يحيل إلى التلازم بين السرد والطبيعة الزمنية للتجربة الإنسانية <<فيصير الزمن إنسانيا بقدر ما يتم التعبير عنه من خلال طريقة سردية ،ويتوفر السرد على معناه الكامل حين يصير شرطا للوجود الزمني.>>[3]

هكذا تكون نظرية ريكور السردية نقطة تقاطع بين الانثربولوجيا الفلسفية التي تهتم بموضوع الوجود الإنساني، والنظرية التأويلية التي تهتم بقراءة النصوص وفهمها وتفسيرها ،هذا التقاطع بين الانثربولوجيا الفلسفية والنظرية التأويلية حول النظرية السردية يحيل إلى إجابة ريكور عن السؤال الماهوي لكانط ما الإنسان؟ إجابة تجعل من السرد ،و المرويات ،والتواريخ ، والقصص مجال خصب لإبراز إمكانات الإنسان . وعوضا عن التصوير الخيالي للأدب ريكور يؤكد على دور الخيال في تجسيد الواقع ، فالأعمال الخيالية لا تقل واقعية عن الأحداث والوقائع والأشياء التي تصورها، فالخيال يقول الواقع الإنساني باستشرافه عالما ممكنا يتقاطع مع عالم القارئ. <<للخيال القدرة على قول الواقع وفي إطار الخيال السردي ،وعلى وجه التحديد على قول الممارسة الواقعية إلى حد أن النص يستهدف قصديا أفق وواقع جديد يمكن أن نسميه عالما ويتخلل عالم النص هذا عالم الفعل الواقعي لكي يضفي عليه تصورا جديدا أو إذا صح القول لكي يحول صورته. >>[4]

يرى ريكور أن وظيفة التأويل هي تفسير العالم من خلال عالم النص الذي هو مرجع الخيال فهو يقابله بوصفه إمكانية لإعادة الوصف، فعالم النص هو ركيزة التأويل عند ريكور وفيه تتقاطع الانثربولوجيا الفلسفية مع النظرية التأويلية ،وعليه يمكن تحديد التأويلية بوصفها بحثا في النوايا النفسية المتخفية تحت سطح النص، بل بالأحرى بوصفها تفسيرا للوجود –في- العالم معروضا في النص. ما يجب تأويله في النص[5] هو العالم المفتوح الذي يمكن أن أسكنه وفيه يمكنني أن أستشرف إمكانياتي الخاصة.

---

[1] سعيد بن كراد السميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها, منشورات الزمن ط 1, 2003 ص 146/145

[2] بول ريكور من النص الى الفعل ص89

[3] بول ريكور الزمان والسرد ج1 ص95

[4] بول ريكور: فلسفة ريكور،ضمن كتاب الوجود والزمان والسرد ص8

[5] كيفن قانهوزر :أسلاف فلسفة ريكور نفس المرجع ص82

يتيح العالم الذي يستشرفه الخيال الأدبي للإنسان أن يطلع على إمكانات الفعل ومنه تتوفر له تجربة خيالية بمثابة طريقة فعلية للاستقرار في العالم المفتوح ؛وهنا حسب ريكور تتجسد قصدية السرد الخيالي في خلقه وإبداعه لعالم جديد ومنهج جديد في استشراف الممكنات وإدراكها ، فالقصدية التاريخية موضوعها الأشياء الواقعية التي حدثت في الماضي ،في حين القصدية في الأدب تركز على إعادة تشكيل الأشياء الواقعية التي يمكن أن تحدث. و بمأن النص يقدم إمكانيات جديدة للأنطولوجيا فإن الانثربولوجيا الفلسفية عند ريكور تتضمن بدورها انطولوجيا الوجود في العالم، من هنا تحدد صيغة النص عند ريكور الذي يتجاوز الواقع الموضوعي عند الوضعيين في تفسيره الأنطولوجي لمسلمة الإحالة أين يهدف ريكور إلى تخليصه من المفاهيم العلمية[1] <<كلما انحرف الخيال عما نسميه بالواقع في اللغة والنظرة العاديتين ازداد اقترابا من قلب الواقع، الذي ليس هو بعالم الموضوعات المتضاربة بل العالم الذي قذفنا إليه عند ميلادنا قذفا. ونحاول فيه أن ننظم أنفسنا بإشتراع ممكناتنا الداخلية عليه لكي نعيش ونسكن فيه .>>[2]

في هذا النص يظهر بوضوح حضور هيدجر في مشروع ريكور من خلال مفاهيم القذف الاستشراف (الاشتراع) الممكنات ...الخ، وهذا ما يؤكد التناغم الكبير من انثربولوجيا ريكور وانثربولوجيا الدزاين في كتاب الكينونة والزمان من جهة، كذلك التناغم بين مؤلف هيدجر وقراءة ريكور له وللوجود والزمان بوساطة السرد. فإذا كان موضوع السرد هو الفعل الإنساني فان هذا يكشف عن الكيفية التي طور بها ريكور تحليلات هيديجر للدزاين، على اعتبار أن الفعل الإنساني هو مظهر للوجود في الزمان؛ فتحليل هيدجر لزمن الدزاين يضفي عليه ريكور طابعا أدبيا ولغويا باستشراف التجربة الخيالية بالزمن ما يمنحنا إمكانية تجريب مختلف كيفيات الوجود في العالم.

من خلال قراءة هيدجر يتضح لريكور أن الوجود في العالم موافق للإمكانيات الموجودة دائما و التي يكتشف فيها الدزاين نفسه، ففي كتاب الكينونة والزمان ص290 في المقطع 32 المعنون بالفهم والتفسير يحدد هيدجر التفسير بوصفه استخلاص الإمكانيات المستشرفة في الفهم، ويعبر ثالوث المحاكاة عند ريكور في كتابه الزمن والسرد الجزء الأول ص 96عن نفس الفكرة التي طرحها هيدجر :-المحاكاة(1)<<مهما كانت القوة الإبداعية للتأليف الشعري في داخل تجربتنا الزمنية، فإن تأليف الحبكة يقوم على فهم قبلي لعالم الفعل.>>[3] وهنا تطابق مع فكرة ما قبل الفهم عند هيدجر . المحاكاة(2) (<<مع المحاكاة (2) يفتح ملكوت كأن. وكان ينبغي أن أقول ملكوت السرد >>[4] تتطابق مع فكرة هيدجر استشراف الممكنات. المحاكاة (3) <<...وذلك المحتوى هو أن السرد يمتلك معناه الكامل حين يرجع إلى زمن الفعل والمعاناة في المحاكاة 3.>>[5] وتتطابق مع فكرة هيدجر الإمساك بالممكنات عن طريق الفهم. ويتوسط هذه المراحل الثلاثة عند ريكور الزمان والسرد <<لذلك فنحن نتابع مصير زمن مصور سابقا يتحول إلى زمن يعاد تصويره من خلال وساطة زمن متصور >>[6] هكذا ادخل ريكور الطابع السردي على التأويل الهيدجري. فعالم النص هو نوع من الوجود من شأنه أن يصنع إمكانيات متنوعة خياليا، مستشرفة في الخيال السردي فالسرديات و المرويات وسيلة اكتشاف أنطولوجية لعلاقة الإنسان بالوجود ،وهذا ما أكد عليه ريكور من خلال تأكيده على دور الاستكشاف الأنطولوجي للخيال.

3 P Ricœur : la métaphore vive, Editions du seuil, Paris,1975. p386

[2] كيفن قانهوزر :أسلاف فلسفة ريكور نفس المرجع ص83

[3] ريكور الزمن والسرد ج1 ص98

[4] نفس المصدر ص113

[5] نفس المصدر ص122

[6] نفس المصدر ص98

في الاخير يمكن القول أن قراءة ريكور لفلسفة هيدجر شكلت نقطة انعطاف في مشروعه الانثربولوجيا الفلسفية ؛ من التحليل الانطولوجي لماهية الوجود الانساني، إلى فلسفة اللغة والأدب وما يوفره السرد الخيالي من تصوير للذات الإنسانية في تجربة البحث عن المعنى من خلال النصوص التي تروي هشاشة الوجود الإنساني . هذا الانعطاف يمثل مرحلة مفصلية في بناء الذات، وترميم الكوجيتو المتصدع الذي خلفه صراع التأويلات . إذ ومن خلال هذا الانعطاف استطاع ريكور أن ينجز انثربولوجيا فلسفية متكاملة ، قاربت مفهوم الإنسان من نواحي متعددة ومختلفة.

المراجع:

اولا : بالعربية

1-بول ريكور: من النص إلى الفعل،ترجمة محمد برادة،مكتبة الإسكندرية،ط1،2001
2-بول ريكور: صراع التأويلات،ترجمة منذرعياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،ط1،2005.
3-بول ريكور: الزمن والسرد (الحبكة والسرد التاريخي)، ج1 .، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة / دار أويا، بيروت / طرابلس،2006
4-بول ريكور: والزمان والسرد (الزمان المروي)، ج3 .، ترجمة سعيد الغانمي، دار الكتاب الجديد المتحدة / دار أويا بيروت/طرابلس،2006
5-حاتم الورفلي: بول ريكور الهوية السردية، دار التنوير للطباعة و النشر والتوزيع2009
6-سعيد بن كراد <<حمات ريكور وعاشت التأويلية>>ملحق فكر وإبداع جريدة الاتحاد الاشتراكي 05/06/3ع7952
7-سعيد بن كراد السميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها, منشورات الزمن ط 1, 2003
8-مارتن هيدجر: الكينونة والزمان، ترجمة فتحي ألمسكيني،دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،ط1،2012.
9-وود دافيد، الوجود والزمان والسرد) فلسفة بول ريكور(، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت،1999
10-بول ريكور من التحليل النفسي إلى المسألة الذاتية ،ضمن موقع http://membres.lycos.fr/minbar.

ثانيا: بالفرنسية

1-Heidegger (M), Kant et le problème de la métaphysique Ed. Gallimard, 1953
2-P. Ricœur:Antropologie philosophique éditions du seuil paris 2013
3- P Ricœur : la métaphore vive, Editions du seuil, Paris,1975